

لنا تابع طوع القياد جنيب
بما شاء منا مخطئ ومصيب^١

ملكنا رقاب الناس في الشرك كلهم
نسومكم خسفاً ونقضى عليكم

وإذا تبعنا التاريخ الإسلامي نرى أن إسلام الموالي كان تقية ونفاقاً ، ولذلك لم
يكونوا مخلصين في ولائهم للإسلام ولا للمسلمين ، ولذلك كانوا يترقبون الفرص
لينقضوا على المسلمين .

١٢ مظاهر الحياة الاجتماعية وأثرها في الشعر:

كانت الطبقة البائسة هي أكثر طبقات المجتمع في بوابة العصر العباسي الأول ،
وكانت " تكدح لينعم الخلفاء والوزراء وعلية القوم وكبار التجار والإقطاعيين بالحياة
الرغدة والعيش الناعم ، غير مفكرين في جوع جائع ولا في عري عار ، فيما تتجرع
الطبقة الفقيرة العسرة آلاماً ثقالاً وأهوالاً طوالاً " ^٢ متصادة الزهر
وقد انعكست آثار الحياة الاجتماعية على الشعر والشعراء ، فرائنا القصور
والخمور والمجون والقيان مع الطبقة الغنية المترفة في القصور مع الأمراء والخلفاء حيث
جذبوا معهم الشعراء الذين تغنوا بالخمير والغزل والمجون ، والوصف والمدح وفي جهة
أخرى رايك حركة الزهد وهي حركة جاءت رداً على حياة المجون والترف في قصور
الأمراء والحكام ، فكانت طبقة الزاهدين ممن آثروا الآخرة على الدنيا ودعوا إلى
الزهد ، والتقشف في العيش ، وكان يمثل هذه الطائفة شعراء كثيرون على رأسهم أبو
العتاهية ، وكان زهد هؤلاء الشعراء من النوع السلبي لأنهم لم يمتلكوا مقومات حياتهم
ثم يزهدوا فيها فهم كانوا فقراء معدمين ، وكانوا ثائرين على الأوض - الاجتماعية غير
راضين بها ، ولذلك آثروا الزهد والانعزال عن المجتمع لأنهم لن يستطيعوا مواجهة
الحكام والأمراء وأصحاب النفوذ والسلطان ولذلك زهدوا وابتعدوا عن متاع الدنيا .

التمرد الفني ومن مظاهر تمرد الشعراء في العصر العباسي التمرد الفني ويمثله
الشعراء الثائرون على نظام القصيدة التراثية الداعين إلى التمرد والإبداع وعلى رأسهم

^١ الأغاني ١/ 63

^٢ - شوقي ضيف: الشعراء وطوائفه الشعبية على مر العصور 88/

يدعو مطيع بن إلياس إلى الفساد، ويرى أن العمر فان، وأن اغتنام الملذات فرصة الإنسان فإذا ضاعت فلن تعود يقول الشاعر :

اخلع عذارك في الهوى واشرب مَعْتَقَةَ الدُّنْيانِ
وصل القبيح مجاهرا فالعيش في وصل القيان¹

أما حماد عجرد فكان زنديقا ماجنا ، يذكر صاحب الأغاني عن أبي نواس أنه قال :
"كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما يرمى بالزندقة لجونه في شعره ، حتى حبست في حبس الزنادقة فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم"²

ومن الشواهد عن زندقة بشار قوله بتفضيل إبليس على آدم ، وتفضيل النار على الطين يقول بشار :

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنبها يا معشر الفجار
النار عنصره و آدم طينة والطين لا يسمو سمو النار³

انعكاس الحياة الثقافية في الشعر العباسي : ^١ تطور الحياة الثقافية

انتشر في العصر العباسي ^١ الجدل بين المتكلمين ، فانتقل تأثير ذلك إلى الشعراء العباسيين وكان على رأسهم بشار الذي كان يشكل الرد على أصحاب المتكلمين وخاصة واصل بن عطاء ، وكان بشار كثير الاختلاف على مجالس واصل بن عطاء ، وكان يختلف معه في كثير من المسائل ، فواصل يرفض فكرة الجبر ، وبشار يؤيدها ، ويؤكد أن الإنسان مسير لا مخير ويقول :

طبعت علي ما في غير مخير هوأي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى ، وأعطى ولم أرد ويقصر علمي أن أنال المغيبا⁴

١ - شعراء عباسيون / 76

٢ - الأغاني 13 / 70

٣ - مقدمة ديوان بشار / 24

٤ - ديوان بشار /

تطور اغراض الشعر في العصر العباسي:

تطور الممد في العصر العباسي:

تطور غرض المديح عند شعراء العصر العباسي، فصاروا إلى مدح الخليفة بما ينبغي أن يكون عليه من القيام بشريعة الله تعالى، والسمي إلى نشر الإسلام والدفاع عنه، وتحقيق العدل والمساواة في المجتمع. وهذه الصفات غالباً ما كانت مقفولة من الخلفاء اللاحقين في الصراع على الحكم، والتكالب على الدنيا، لما كان من الشعراء إلا أن يوجهوهم إلى هذه القيم عن طريق مدائحهم، كقول المتنبي في سيف الدولة:

سأ قد زرتني وسيفك للهند مقفولة
وكلن أحسن ما في الأحسن للشيرم
قد ناب صفك شديد الخوف واصطفت
الزمت نفسك شيباً ليس بلزمتها
أكلما رمت جيشاً فلتقتى هربها
تصرفك بك في أثارهم ألههم

سأ لقبه الشعراء إلى بدء القصائد بالفرح أو الحمر أو الإقبال على مظاهر الدنيا، ولا حظ ذلك عند الشعراء الذين دعوا إلى التحلي عن الوقوف على الأطلال وبكاء الديار كمسلم بن الوليد الذي بدأ إحدى قصائده في مدح هارون الرشيد بوصف الحمر قائلا:

هات اسقني طلل بني الحسين
من قهوة بالعمها وكمن^١
و كقول النعماني في مدح الرشيد:

ويلز الأريثا من الخيلام
حيكما الله بالعميلام
هيهات للهو والتصالي
وللغولي وللمسدالم
بورك هلرون من إمام
بطاعة الله ذو اعتصالم^٢

^١ نيو إن مسلم بن الوليد / 279

^٢ طبقت بن المعتر / 175

والحقيقة أن الإنسان غير في أعماله ، ومسير في الأشياء غير الإرادية التي لا يتحكم فيها أولاً يملكها ، أما في العمل و أقواله فهو الذي يفعلها بمحض إرادته ، ولذلك سيحاسب عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وكذلك أقواله .

كما خالف أبو نواس المعتزلة في مسألة الوجد والوجد ، فالمعتزلة يرون وجوب صدق الوجد والوعد لأن ذلك لازم لصفة العدل ، وأبو نواس يرى أن الله قد يترك وعيده للعاصي ويعفو عنه وفي ذلك يقول أبو نواس :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة
لا تحظر العفو إن كنت إمراة خرجا

قد عظمت الحكمة لدى شعراء العصر العباسي فصاغوها حكما خالصة ، ونصائح
مؤثرة ولم تقتصر على آيات في ثنايا القصائد بل أصبحت تفرد لها قصائد بعينها ،
وأصبح الشعراء يودعون فيها خلاصة تجاربهم ، وثمر ثقافتهم يقول بشار :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعسن
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن
ويقول المتبي في الحكمة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
حتى يراق على جوانبسه الدم

ارعت بين روم وفـرس
يزجى الجيوش تحت الدرقس
خفوت منهم وإغراض جرس
لهم بينهم إنسار ة خرس
تقر اهم يـدداى بلمس

فإذا مارأيت صورة أنطاكية
والمنايا موائل وأو مشروان
وعراك الرجال بين يديه فى
تصف العون أنهم جد أحياء
يعلى فيهم أرنباى حتى

تطور الغزل :

وقد تطور الغزل فى العصر العباسى تطوراً ملحوظاً فلم يعد مقتصرأ على الغزل
المسرحى أو المعمرى كما كان من قبل ، ولكنه تطور وتطور المجتمع ، واختلاط أجناسه ،
وكثرة الجوارى والقيان فيه ، وازدهار فن الغناء فقد أدت هذه التحويلات إلى ظهور
الغزل بالذكر والعلمان والعلايمات ، ومن شواهد قولهم فى مدح الخلفاء قول علي بن
البحم فى المتن كل :

إمام هدى جلى عن الدين بعد ما
تعاتت على أشياءه شيع الكفر^١
وقوله :

له المنة العظمى على كل مسلم
وطاعته فرض من الله منزل^٢
يقول شوقي ضيف : " كانوا دائماً يلامون بين مدائحهم ومدحهم ، فإذا مدحوا
وزيراً مثلاً عرضوا لسياسته وتفتنه فى الكتابة ، وإذا مدحوا قائداً عرضوا لوقائمه
الحربية ، وإذا مدحوا عالماً أشادوا بعلمه ، وكذلك إذا مدحوا مغنياً أشادوا بغنائه " ^٣

تطور الهجاء :

الهجاء

أما الهجاء فقد تطور فى العصر العباسى فلم يقتصر على ذكر العيوب ، والسخرية
من الخصم والنيل منه بتحقيق شأنه بل رأينا الشاعر يركز على رسم المساوى
الفردية والاجتماعية للخصم فى صورة كاريكاتورية مضحكة كقول ابن الرومي :

١ - ديوانه / 222
٢ - ديوانه / 164
٣ - العصر العباسى الثانى / 210

٢٠ لو قد اتجه الشعراء في العصر العباسي الى بساطة التعبير ، والميل الى الالفاظ الشعبية المستخدمة في البيئة / كقول أبي المعتاضة في مدح المهدي:

انتبه الاخلافة منقادا
اليه تجرر انيالها
ولم تك تصلح الاله
ولم يك يصلح الاله
ولو رامها احد غيره
لزلزلت الارض زلزلا

ويعتاز المدح ايضا بالبالغة في المدح كقول أبي النورس :

واخفت اهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التي لم تخلق²

٢١ وقد اتجه بعض الشعراء الى مدح المدن وذكر محاسنها ، والتعصب لها كقول
عمارة بن عقيل في مدح بغداد :

اعينت في طول من الارض والقرض
كبغداد دارا نهسا جنة الارض
صفا العيش في بغداد واخضر عوده
وعيش سواها غير صافي ولا غض³
ويسرف النعمي في مدح الرشيد ، ويغالي في وصف سخطه اذ يجعله معادلا
لسخط الله تعالى ولذلك تجب طاعة لقطاعه من طاعة الله يقول النعمي:

اي امرئ بات من هارون في سخط
فليس بالصلوات الخمس ينتفع⁴
إذا رفعت امرعا فاقلة يرفعه
ومن وضعت من الاقوام متضجع⁴

أما الوصف فلم يقتصر على وصف الناقة أو الخيل أو المغامرات في الصيد
والطرديات أو وصف الرحلة إلى المديح بل تعدى ذلك إلى وصف القصور والطيبة
ومظاهر الجمال والترف التي سادت في العصر العباسي ، كقول البحري في وصف
أيوان كسرى :

لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتما بعد عرس

¹ ديوان أبي المعتاضة / 311

² ديوان أبي النورس / 40

³ تاريخ بغداد / 4 / 68

⁴ طبقات بن المعتر / 245

وليس بيساق ولا خالك
تنفس من منخر واحد

يقتر عيسى على نفسه
فلو يستطيع لتقتيره

مع ظهور الإسلام حرم النبي صلى الله عليه وسلم الهجاء بقوله : " من قال في الإسلام

هجاء مقذعا للسانه هدر "

وفي تفسير كلمة " هدر " و " مقذعا " يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحطينة حين أخرجه من سجنه بعد هجائه الزبرقان بن بدر فقال له : إياك والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هو لاء أفضل من هو لاء وأشرف ، وتبي شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديتهم²

لعمري وفي تطور الهجاء في العصر العباسي يقول شوقي ضيف : " تطور الهجاء الجاهلي إلى نقائص ، فالعرب قبل عصر بني أمية لم يعرفوا هجاء منظما يستمر يوميا استمرارا متصلا على نحو ما يستمر في عصرنا إخراج المصحف اليومي ، إنما عرفوا هجاء متقطعا يظهر من حين إلى حين تبعاً لنشوب حروب وأيام بينهم ، فلما جاء العصر الأموي ، واستقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة ، وعادت العصبيات جذعة وأينا هذه القبائل تجتمع وتحتشد في المربد وفي الكناسة حول الشعراء يستمعون منهم إلى ما يشدونه في الهجاء ، وكانهم وجدوا في ذلك طورا لهم وتسلية ، حينئذ يتحول فن الهجاء من فن وقفي متقطع إلى فن دائم مستمر يحترقه الشاعر³

و وقد اتجه الهجاء في القرن الثاني الهجري إلى الاختصار على المقطعات القصيرة التي لا تتجاوز عدة أبيات **ل** الناتجة الشعراء إلى تركيز هجائهم ليكون أكثر إيلا **و** المصيح الهجاء في قصائد عديدة لا تجمع غرضا غيره **و** أحيانا يتكرر الشعراء مطالع غزلية ثم بعدها الهجاء

كما نجد ذلك عند بشار والأعشى في هجاء الخارث بن وعلة يقول الأعشى :

¹ المدة 138/2 ، وانظر : مجمع الزوائد للهيتمي 123/8 ، شعيب الإيمان 4/276
² المدة 138/2
³ التطور والتجديد في الشعر الأموي / 178

فقلت غصارة العيش الاثيق
ومن سقته تبغنا بضيق
فقلت اهلها بالمنجنيق¹

بكيت دما على بغداد لسا
تبذلنا هوم من سرور
اصابها من الحصاد عين

وبصف الخزي ما حل باهلها من جراء هذا الطريق والدمر فيقول :

وناحية تنوح على ضيق
وباكية للفدان الشقيق
متاعهم يبيع بكل سوق

نقوم اعرقوا بالنار قسرا
وصاحبة تنادي واصباحا
وقوم اخرجوا في ظل دنيا

ويقول ابن الرومي في رثاء البصرة مصورا ماصابها من خراب ودمار ، وما
اصاب اهلها من فرح وهول ، وتشريد وضياح فيقول :

شففها عنه بالدموع المسجام
سرة ما حل من هنات عظام
سرة لها كمثل لهيب الضرام

ذاك عن مقتلني لذيق المنام
اي نوم بعدما حل بالبصر
لهف نفسي عليك ايتها البصر

ثم يتقل الشاعر مصورا جرائم الزنج في المدينة مبينا آثار ذلك على اهلها فيقول :

وشمال وخلفهم وامام
قتلوا جبينه بالحصام
ترب الخدين صرعى كرام
وهو يغنى بصارم مصمام²

اذا رموهم بنارهم من بين
كم ضنين بنفسه رام منجى
كم اخ قد رأى أخاه صريعا
كم أب قد رأى عزيز بنيه

رثاء القيروان:

أثرت أحداث القيروان في قلوب الشعراء فبكوا بكاء مراء ومن هؤلاء الشعراء
الحصري القيرواني الذي ظل متحسرا على المدينة باكية عليها قائلا :

فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا
عندي عهود ولا ضاقت مودات

موت الكرام حياة في موطنهم
ياهل وذوي لا والله ما انتكست

¹ - المسعودي : مروج الذهب 4 / 283 .
² - ديوان ابن الرومي / 419 .

وقد ذهب الود الذي كان يذهب
تصايبت أم بليت بعقلك زيتب
وكانوا يعملون في المجداء على التحقير والتصغير والسخرية المريرة كما نرى في
(١) قول إبراهيم بن العباس :

ولما رأيته لا فاسق
وليس عدوك بالمتق
أتيت بك للسوق سوق الرقيق
على رجل غابر بالصديق
فما جاعني رجل واحد

فالشاعر يصور صديقه في صورة بائسة ، ويسخ به لأنه خان وده ولم يحفظ صديقه ،
فيصوره لا هو من أهل الجون ، ولا من أهل الزهد ولا هو فارس يخشى بأسه ، ولا قيمة
له تساوى درهم واحد .

بطون في الماشام

والرثاء فن شعري قلبي في التمس في التراث علي رثاء البشر ، وذكر حاستهم بعد
وفاتهم وفاء لهم ، وقد تطور فن الرثاء ومن جديد الرثاء في العصر العباسي رثاء
الحيوانات المستأنسة كقول الشاعر :

ياهر فرقتنا ولم تغد
فكيف تنفك عن هواك وقد
تطرد عنا الأذى وتحرستك^٣
وكنت منا بمنزل الولد
كنت لنا عدة من الغدد^٢
بالغيب من حبة ومن جرد^٢

يرون لتخليد ذكرهم ، أما في العصر العباسي فنرى ألوانا جديدة من الرثاء ،
لاقتصر على رثاء الأشخاص بل وقد تضمن الإنسان وغير الإنسان عند شعراء العصر
العباسي . ومن ذلك قول الشاعر في رثاء بغداد عليها تعرضت للحريق والتدمير أيام
الخلاف بين الأمين والمأمون سنة 197 هـ يقول الخزي :

الوفاة

١ - ديوان المعاني 1/ 183
٢ - ابن المعتز : طبقات الشعراء / 359 الجرد : الفل

٢٠ رثاء اصحاب الكوارث الطبيعية :

كثيرا ما دمرت الفيضانات مدنا عديدة ، لو لطف الشعراء رثين أهلها معبرين عن
 تعاطفهم مع أهلها ، معبرين ما أصابهم من بؤس وشقاء كقول السري الرفاء لى بكاء
 مدينة الموصل التى أغرقها الطوفان عندما طغى عليها لمر دجلة يقول الشاعر :

شكا الغد من خذ الحسام المهند
 رمين على الأيام منه بسبرك^١
 تغر عليه من ركوع وسجد^٢
 مقلقة الجدرانى للمسد لائقى

وهذا أسامة بن منقذ يعبر عن حزنه لما أصاب شيز فقال لى رثاء أهلها ما يصور ما
 أصاب البلدة من قفر وتخراب ، وتشريد الأهل والأحباب ، فيقول :

فقلت : نعم لكتنها منهم قفر
 وبعدهم لاجاء ساكنها القطر^٣
 ولا الدهر فيها بعدهم ذلك الدهر^٢
 نقول لى الأسواقى : هذى ديلرهم
 وما كنت أهوى الدار إلا لأهلها
 فما الدار تلك العار بعد قطينها

ويذكر أسامة بن منقذ سبب معاناته على أهله ، مصورا ما أصاب وطنه من زلازل
 اقتضتهم ، ودمرت البلاد وجعلتها مقفرة فيقول :

وبح الزلازل أقت معصري فجدا
 لا أنقى الدهر من بعد الزلازل ما^٣
 رثاء بعض أجزاء الجسم المبتورة :
 ذكرتهم خلقتي فى القوم سكرانسا
 حيث إلا كمير القلب حيرانسا

من جديد الرثاء فى العصر العباسى رثاء أعضاء الجسم ، فالشاعر يرى فى إصابة
 بصورة لى آخر أيامه بأنه موات له ، فهو ميت على رغم حياته يقول صالح بن عبد
 القدوس :

رثاء على الدنيا للسلام فما لشيخ

ضرب العين فى الدنيا نصيب

١ - السري الرفاء ١٣٧/٢

٢ - أسامة بن منقذ : المتنزل والديلر ٧٧١

٣ - السابق ٧٨١

لو احسنت برء علالت تعلالت

٧ إذا اختلفنا نعلنا بذكركم

فالشاعر يرى أن الموت في سبيل الوطن شهادة ، والشهادة حياة ، والغريب ميت قبل موته ، وهو باق على عهده ومودته ، فإن نام فلنكي يراهم في خياله يقول الشاعر:

ولم اقل ها لأحباتي ولا هاتوا
تروقي غددوات أو عشبات
كلنه عبراتي المستهللات^١

١ كلني لم ألق بالقيروان جنى
أبعد أيامنا البيض التي ستلفت
ألا سقى الله أرض القيروان حيا

يكاء مدينة سروج التي احتلها الأفرنج سنة 494 يذكر ابن الأثير أن الأفرنج حاصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها ، وسبوا حريمها ونهبوا أموالهم ولم يسلم إلا من معنى منهزما^٢

فوقف الحريري بأكياء مدينته سروج على لسان بطل مقاماته أبي زيد السروجي فيقول :

ومن أين مهب صباك فتفس الصعداء مراراً ، وأرسل الدمع مدراراً ، حتى إذا استترف الدمع ، استصتت الجميع ، وقال : أرعني السمع :

وبها كنت أمـروح
وصحاريها مـروح
هم نجوم وبيـروح
هاقمرأها البهـروح
زفـرات ونشـروح^٣
سرحني عنها العلـروح^٣

مسقط الرأس سـروح
وردها من سلسبيـل
وبنوها ومعاتـل
حبذا نفحة ريـل
ولمن ينزاح عـلها
مثما لاقيت مذ زحـ

١ - الحصري القيرواني : محمد المرزوقي / 37 .

٢ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ 325 / 10 .

٣ - الحريري : مقامات الحريري / 321 .

ويرى في ابعاد الوشاة القوس النافق عنه ابعادا لروحه ، فهو كروحه عزيز عليه
ولذلك يقول إن نفسه مقسمة شطرين : شطر معه معذب موزق وشرط مضى مع

حصانه الأشهب الذى نفق ليقول :

بعد الفتى وهو الحبيب الأقرب
وسلبت قيربك أى علق أسلبي
ومضى لطيفته فريق بجنسب¹

دب للوشاة فباعده وريما
لله يوم غدوت فيه ظاعنا
نفسى مقسمة أقام فريقتها

ويقول الجزار في رثاء حمارة :

نفق الحمار وبارت الأشعار
بين البيوت كائنى عطسار
وجرت دموغ العين وهي خزار²

ماكل حين تنجح الأمس فجار
خرجى على كتفى وهانا دائر
ماذا على جرى لأجل فراقه

وقد ظهر الرثاء في ثوب جديد ، حيث خرج مخرج الفكاهة والضحك ، وانجبه بعض
الشعراء إلى رثاء نفسه كما يروى مطيع بن ايامس شنباه قاتلا :

أحرف من شيرتى ومن طرني
ناري إذا ما استعرت في لهبي
بان بفتواب جدّة فششسب

إني لباك على الشباب دمس
ومن نصابي إن صبوت ومن
لبكي خيلا ولى ببهجتسه

ويروى أبو نواس كلبه الذى لسعته حية فمات فيقول :

قد كان أغناني عن العقاب
من للظباء الغفر والذئباب
به وكان غدتي ونابسي
إذ برزت كالحة الأناب
كانما تبصر مسن ثقباب
لم ترزع لي حقا ولم تحساب³

يابؤس كلبى سيد الكلاب
يا عين جودي لي على حلاب
خرجت والدنيا إلى تباب
فبينما نحن به في الغباب
رقشاء جرداء من الثياب
فعلقت عرقوبه بنساب

¹ - الأغانى 20 / 126 ، إن : بمعنى نعم ، ومصيبة خبر لمتدا محذوف تقديره هى
² - الصفدى : الوافى بالوفيات 219 / 2
³ ديوانه / 190

وتخلف ظنه الأمل الكـ ذوب
وما غير الإله لها طبيب
فإن البعض من بعض قريب^١

يموت المرء وهو يعد حيا
يمتني الطبيب شفاء عيني
إذا مامت بعضك فارك بعضا

وعندما فقد أبو يعقوب الخزي بصره وكان في السبعين من عمره فقال متحسرا
على فقد بصره :

فكسم قلبها نور عين خبا
أرى نور عيني إليه مسرى^٢
سراجا من العلم يشقي العمى^٣

فإن تك عيني خبا نورها
فلم يعم قلبى ولكنما
فلسزج فيه إلى نوره

ويقول :

ففى لسالى وقلبي منهما نور
وفي فمي صارم كالسيف ماثور^٤

إن يأخذ الله من عيني نورهما
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل

ويرى أبو بكر الخلاف في فقد عينه موت له ، وإن كان يحيا بين البشر ، ويتحسر
على ذلك مؤكدا أن من فقد بصره اعتمد على كفيه في المشي والتحسس والكفان
لا يغنيان عن العينين ولكن فلا بد من البصر والبصر يقول الشاعر :

قد ماتت من ذهبت والله عيناه
وكيف يفرخ من عيناه كفاه^٤ !

قالت كاتك في الموتى فقلت لها
عيناى كفاى لأطرف الأذى

رثاء الخيل في المشعر العباسي :

يصف ابن الزيات حزنه على موت فرسه ، ويصور جزعه عليها ، ويؤكد أن
مصيبته في موت فرسه مصيبة جلى ، فيقول :

جئت رزيتها وضاق المذهب
عنا فودعنا الأحم الأشهب

قالوا: جزعت؟ فقلت : إن مصيبة
كيف العزاء وقد مضى لسبيله

^١ - ديوان خصالج بن عبد القدوس / 128

^٢ - ديوان الحزبي / 11

^٣ - السابق / 77

^٤ - الصقلي : نكت الهمان / 76

الأطباء . فشربه في اليوم الأول فاستطابه . فعاد له في اليوم الثاني . وزاد منه
فخمره . ثم عاوده في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء . فلما كان
من غد دعا بما عنده من الشراب فهاقه . ثم قال . ما ينبغي لمثلي أن يشرب شيئا
يشغله (١٣٩) .

إن أول شاعر خُصَّ شعره لوصف الخمرة هو أبو الهندي غالب بن
عبد القدوس . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني . « وقد أدرك الدولتين . دولة بني
أمية . ودولة ولد العباس . وكان جزل الشعر . حسن الألفاظ . لطيف المعاني ...
واستفرغ شعره بصفة الخمر . وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام . فجعل وصفها
وَكْدَةً وَقُضْدَةً (١٤٠) . وكان يحب الخمرة . ويبكي لفراقها . ويحن إليها حين
القطيم إلى الرضاع . فما هو ذا يقول بعد أن أبطأ عن شربها مدة (١٤١)

أديرا علي الكأس إنني فقدتها كما فقد المظوم دُرَّ المراضع
حليف مدام فارق الراخ روحة فظل عليها مُستهل المدامع
وإذا قال أبو الهندي (١٤٢) :

اجعلوا . إن ميت يوما كفي ورق السكرم وقبري مفصرة
وادفنوني وادفنوا الراخ معي واجعلوا الأقداح حول المقبرة
فقد سبقه إليه أبو محجن الثقفي (١٤٣) .

إذا ميت فادفني إلى أصل كزمية تزوي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فإني أخاف إذا ما ميت أن لا أدوقها (١٤٤) .

٢ (٢٢٩) الوزراء والكتاب للجهياري ص ١٠١ .

(٢٣٠) الأغانى ٢٠ ، ٣٣٩ .

(٢٣١) ديوانه ص ٤٤ . الأغانى ٢٠ ، ٣٣٣ .

(٢٣٢) ديوانه ص ٣٣ .

(٢٣٣) الأغانى ١٩ ، ٧ .

(٢٣٤) أدولها مرفوعة باعتبار (أن) مختلفة من القليلة . واسمها ضمير الشأن أو ضمير متكلم
محذوف . وجملتها أدولها خبر . تنظر . خزانة الأدب ٢ ، ٥٥ ط بولاق .

فإن أدبى ليس بجديد على الشعر العربي في العصر العباسي. وإنما هو قديم ابتداء به شعراء ما قبل الإسلام. ويُعدُّ الأعرش أبرزهم وأكثرهم إطالةً في وصف الغمرة. (٣٣١)
ولما جاء الإسلام أمر بتحريمها وحُدَّ شاربيها، لذلك قلتُ معاقبتها إلا من نقر قليل جداً مثل أبي معجن الثقفي الذي لم يسلم من الحُدِّ عدة مرات. (٣٣٢) وفي عصر بني أمية قرع كؤوسها عددٌ من الشعراء أمثال النابغة الشيباني (٣٣٣).
والقطامي (٣٣٤). والأخطل (٣٣٥). والوليد بن يزيد (٣٣٦) ...

ولما أقبل العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونيه وانفتاحه على أقوام كثيرة ولاسيما الفرس والروم. شاعت الغمرة. وتوسعت مجالسها. وكثرت حاناتها وأنديتها. وزاد الأقبال عليها. وتوفرَّ الشعراء على وصفها بصورة لم تحدث من قبل. ويبدو أن الحرية والتساهل كانتا وراء هذا الإقبال. ولم يكن الخلفاء بمعزل عنها. فإن أكثرهم شربها. ويقال إن المنصور تناول النبيذ مرةً واحدةً بعد أن زُيِّنَ لها أحدُ

(٢٢٢) أمالي المرتضى ١ : ١٣٧ - ١٥١ .

(٢٢٣) ينظر ، تطور الخمريات في العصر العربي ص ٢٩ ، وأساليب الصناعة في شعر العصر والنقاد ص ١٥ .

(٢٢٤) الأخطلي ١٩ : ١٠١ .

(٢٢٥) ديوانه ص ٨٢ .

(٢٢٦) ديوانه ص ٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٩١ .

(٢٢٧) الأخطل الكبير ، حياته ولطيفته ولحمته الفنية ص ١١٤ - ١٢٠ .

(٢٢٨) الأخطلي ١٩ : ٧ .

وقد استقى أبو نواس كثيراً من المعاني في وصف الخمرة من أبي الهندي . حدث فضل اليزيدي . انه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول . وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر . فاستحسنه وقرظه . فذكر عنده أبو نواس . فقال . ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها من شعره . فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي . ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرفه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره « (١٣٠) » .

ومن شعراء الخمرة المشهورين قبل أبي نواس . علي بن الخليل (١٣١) . وغكاشة الغمي (١٣٢) . وابن ميادة (١٣٣) . وابن هرمة (١٣٤) . ومهما قيل عن هؤلاء . فإن شعر الخمرة تطور تطوراً كبيراً على يد أبي نواس . حتى عُذَّ زعيم شعراء الخمرة (١٣٥) . وبقي شعره على مر العصور في صدر الدراسات التي تحدثت عن الخمریات . لما له من بريق أخاذ . وأريحية غالبة متأية من قوة الطبع إلى جانب بساطة الأسلوب وحلاوة اللفظ ورشاقة الوزن (١٣٦) .

لقد عشق أبو نواس الخمرة عشقاً عنيفاً قوياً . ووصل شعوره نحوها إلى درجة التقديس . وقد أشار إلى هذه الحقيقة الدكتور طه حسين حين توقف أمام مقطوعته (١٣٧) .

أثني على الخمر بالائها ونمها أحسن أمائها
لاتجعل الماء لها قاهراً ولا تلطها على مائها
كرخية قد عثقت جعبة حتى مضى أكثر أجزائها
فلم يكذ يدرك خمارها منها سوى آخر حوائها
دارت فأحييت غير مذمومة نفوس خراها وأنصائها
والخمر قد يشربها معشر ليوا — إذا غدوا — بأكفائها

(٢٢٥) الأمازي ٢٠ ، ٢٢٩ .

(٢٢٦) الأمازي ١٨ ، ١٧٤ .

(٢٢٧) الأمازي ٢ ، ٢٥٧ .

(٢٢٨) الحيوان ٢ ، ٢٢٧ . البيان والتبيين ٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ .

(٢٢٩) ديوانه ص ٢٢٤ .

(٢٣٠) ينظر : أبو نواس زعيم شعراء الخمرة ص ٢٢ - ٨٥ .

(٢٣١) ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٤٢٧ . الشعر وطوائمه

الشعبية ص ٨٥ .

(٢٣٢) حديث الأربعاء ٢ ، ٨٧ . وينظر ديوان أبي نواس ص ٢٢ .

الوصف :

الشعراء فنانون مبدعون يرسمون بالكلمات ما يرون . ويصوّرون ما يشاهدون .
ويصفون ما يحسون به ؛ ومن هنا كثر نتاجهم الشعري في غرض الوصف . حتى قال
ابن رشيّق : « الشعر إلا أقله راجع الى باب الوصف . ولا سبيل الى حصره
واستقصائه » (١٥٨) . وقد خضه الدارسون القدامى والمحدثون بعنايتهم ودعائهم .
وأفردوا له أبواباً في مؤلفاتهم واختياراتهم .

إن الشعر العربي زاخر بأوصاف كثيرة منتزعة من البيئة ابتداءً من عصر ما قبل
الاسلام . وقد أعطتنا دولة بني العباس ألواناً مختلفة من هذه الأوصاف . منها قديمة
امتدت إليها يد الحضارة بالتهذيب والتطوير . ومنها مبتكرة أوجدتها المدينة
الجديدة التي تضافرت أمم كثيرة وأجناس مختلفة على خلقها . فإذا وصف - مثلاً -
الشاعر الجاهلي رحلة في مضارب الصحراء ، فإن بشار بن برد وصف في قصيدة
رحلة الخليفة الهادي من البصرة الى بغداد في نهر الفرات (١٥٩) ، وتناول أبو نواس
نزهة للخليفة الأمين في سفينة جميلة الصنع تمخر عُباب الماء في نهر دجلة (١٦٠) :

-
- (١٥٩) الأهالي ٦١ ، ٢ ولكل من ابن منظور وأبي هفان كتاب مطرد في أخباره .
(١٥٥) الأهالي ١٤٦ ، ٢ . وراجع كتاب (الحسين بن الضحالك) للدكتور شوقي رياض .
(١٥٦) الأهالي ١٨ ، ١٠٠٠ .
(١٥٧) العصر العباسي الأول ص ٧٣ .
(١٥٨) المدة ٢ ، ٢٩٢ .
(١٥٩) ديوانه ٢ ، ٢٨٢ .
(١٦٠) ديوانه ص ٤١٤ .

إن شعر الخمرة في العصر العباسي يشكّل ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من نداس وسقاة وكؤوس ومجون... وفي هذا الشعر جانب جديد يمكن أن يطلق عليه - كما يقول الدكتور هشار (١٢١) - اسم أدب الديارات. ويقصد به الشعر الذي كان يتردّد حول مجالس الشراب في الأديرة التي كانت منتشرة في العراق والشام ومصر. وقد عُرف جماعة من الشعراء بالذهاب إلى هذه الأديرة أمثال أبي نواس. والحسين بن الضحاك، وعمرو الوراق، ومطيع بن إيلس، وأبي الشبل البرجمي. ومحمد بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بالشرواني، وبكر بن خارجه الكوفي. ومحمد بن أبي أمية، وإسحاق الموصلي، وخالد الكاتب الذي يقول في دير (سعالو) الذي يقع بباب الشمالية شرقي بغداد: (١٢٢).

يَاسْتَنْزِلُ الْقُضْفُفُ فِي سَمَالُو مَالِي عَنْ طِيبِكَ انْتِقَالُ
وَأَهْلاً بِأَيَّامِكَ الْخَوَالِجِي وَالْمَمِيشِ صَافٍ بِسَهَا زَلَالُ
تِلْكَ حَيَاةُ النُّفُوسِ خَفَا وَكُلُّ مَا دُونَهَا مُعْهَالُ

وهكذا أصبحت الأديرة «مقصداً وهدفاً لطلاب اللذة والمتعة. وأصحاب اللهو واللجون، وإذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مغرمي موائد الشراب ومجالسه، يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير، أو ذاك، لما شهر به من نبيذ حسن، وخمرة جيدة، وطيب معشر سكانه، والقيمين عليه، وإذا بهذه الديارات تدخل الأدب العربي عن طريق الشعر خاصة بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة. تمجدها ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة، ولياليهم السعيدة الحلوة التي قضوها فيها، ثم يتقنون العودة إليها، أو يتواعدون على اللقاء في الدير الفلاني، وقد تنشأ علاقة صداقة ومودة خالصة بين المّجان وطلاب المتعة وبين المسؤولين عن هذه الديارات (١٢٣).

إن رواد الديارات كانوا «يتنافسون فيما يظهرون هنالك من زيههم، ويباهون بما يعلّون لتقصّهم» (١٢٤)، وقد عدّ الدكتور يوسف خليف شعر الديارات لوحة من لوحات مدرسة الأدب المكشوف، صور فيها الشعراء الجانب اللاهي من

(١٢٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٩٧.

(١٢٣) دهران خالد الكاتب ص ٤٢٢. ولتنظر، الديارات للهابشي ص ١٤.

(١٢٤) الأدبية الأدبية في العصر العباسي ص ١٧٨.

(١٢٥) الديارات ص ٤٦.

سخر الله للأسبى سطلابا لم شخر لصاحب شخر المراهب (٣١)
 فلذا ما ركاب اسبه سزن برا سار في الماء راجبا ليش غلب
 لسا باسطا فراعبيه. بعمو افرت الشفق. كالخ الانياب (٣١)
 لا بعمانيه باللجام. ولا الشو ط. ولا غمر رجليه في الزكاب
 عجب الناس اذ راوه على صو رة لسبب بعمر من الشرحاب
 ولم تكن السفن والقوارب فقط تثير إعجاب الثمراء. بل الجور المقامة على
 دجلة أيضا. يقول على بن الفرج (٣١١)

أيا جذا جز على متني دجلة يلتقيان تأسيس. وخشنا ودونق
 جمال وفخر للسمراق ونزهة وسلوة من أضواء فوط الشوق
 وأقبل الثمراء المباسيون على الطبيعة الجميلة إقبالا كبيرا. فلم يتركوا شيئا
 فيها إلا وصفوه. سواء كان في الأرض أم في السماء. من رياض ومروج وبساتين.
 وأزهار وأشجار وأثمار. ودور وقصور وقباب. ومأكول ومشارب. وسحب وأمطار.
 ونجوم وأفلاك... من ذلك قول مروان بن أبي حفصة يصف حديقة وهبها له المهدي.
 ويذكر نخلها وشجرها: (٣١١)

نواخر غلبا قد تملأت رؤسها من النبت حتى ما يطير غرابها (٣١٥)
 ترى الباقات العم فيها كأنها طعان مضروب عليها قباها (٣١١)
 ترى بانها سهلا لكل مدغم إذا أينعت نخل فانلق بابها (٣١٣)
 يكون لنا مانجتي من شراها ريماء إذا الأفاق قل سحابها
 ووصفوا القصور وما فيها من فرش وأثاث. وما يحيط بها من حدائق غناء.
 تغرد فيها الطيور. وتجري فيها الأنهار والفران مثل قول أبي عبيدة بن محمد بن
 أبي عبيدة: في وصف قصر بالبصرة (٣١٤).

(١١١) المطايا، أراد بها السطن التي يطلق عليها المراكات صاحب المراهب، سليمان بن داود.
 (١١٢) أهرت العدل، راسمة.

(١١٣) كالريح يلهو، ١١١، ١١٦.

(١١٤) قصر مروان بن أبي حفصة ص ٢٥.

(١١٥) النواخر، الضمراء القديمة الضيقة. اللطيف، الطبيعة اللطيفة.

(١١٦) العم، جمع صبية، وهي النخلة الطويلة.

(١١٧) المدح، الكبير.

(١١٨) ديوانه ص ٢٦. وينظر ١١٨، ١١٩.

وسرى من الغرلان برهن: حوله كما انزل منظومة من اللز من سلك
ودواء تحكي الوصل اذا شدت بتفريدها اجبت بها ومن تحكي
ويا طيب ذاك القصر قصرا ونزهة بالبحر سلام غير وعز ولا ضحك
وكان للشعار الموجودة في الحدائق والبساتين نصيب من شعر الوصف. ومن
طريف ما جاء في وصف التفاح قول بشار بن برد (١٣١)

وعذبة من خالص التبر نعفها ومن جليان نصفها وشقائق
كان الهوى قد رد بعد تنقي لها خد مشوق الى خد عاشق
ومن بدع وصف العنب الرازي قول ابن الرومي (١٣٢)

كان الرازقي وقد تسناهى الورد على نشيف ولؤلؤ فيها يوم
وتحسبه من الشهد المصفى اذا اختلفت عليك الطعوم
فكل منجمع منه ثريا وكل منفرد منه نجوم
وكانت قصور الخلفاء والأسر الغنية حافلة الى جانب الطعوم اللذيذة والنواكه
الشهية. بوسائل اللهو واللعب التي كانوا يقضون بها أوقات فراغهم. من ذلك لعبة
الشطرنج. وقد أحسن المأمون في وصفها وتشبيهها بمعركة حربية حامية بين
عسكريين (١٣١)

أرض مرسعة حمواء من آدم ما بين البغين معروفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها جيلا من غير أن يلما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذلك على هذا يغير. وعين الحزم لم تتم
فانغتر إلى فطن جالت بمعركة في عسكريين بلا طبل ولا علم

ومن وسائل اللهو التي أخذت جانباً كبيراً من شعر الوصف خارج الدور
والقصور. الصيد والطرود. وكان الخليفة المهدي من أشهر الخلفاء عناية بالصقور
والبزة وكلاب الصيد. ومن طريف ما يروى عنه أنه خرج مع ابن عم أبيه علي بن

(١٦٩) نزهة الألام في محاسن العام ص ٢٥. وهذان البيتان ليسا في الموجود من الديوان
(١٧٠) نزهة الألام في محاسن العام ص ٢٨. ولم قرء هذه الأبيات في الديوان المطبوع
(١٧١) المستطرق ٢، ٢٥٩. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨. ولتسب الأبيات ال على بن
الصيد ينظر ديوانه ص ١٧٩.

سلمان إلى السيد فتح لهما قطع من طياء. فأرسلت الكلاب وأجريت العمل
فرمى المهدي طياء بهم فصرعه. ورمى على بن سليمان فأصاب بعض الكلاب
فقتله. فقال أبو ذلامه.

شك بالسنهم فوالده
قد رمى المهدي طياء
وعلى بن سليمان
فهنيئاً لهما كذا

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه. وقال، صدق والله أبو ذلامه.
وأمر له بجائزة سنه (١٣١).

ونظر الشعراء إلى الأنواء الجوية. ووصفوها بقصائد ومقطوعات. فهذا أبو غادة
البحري يجيد بلفظة رقيقة عديدة وصف السحاب والبرق. ويرسمها رسماً دقيقاً يدل
على خيال خصب ينفذ في دقائق الأشياء فيبرزها ويظهرها بأبهى حلة وأجمل
منظر (١٣١).

ذات ارتعاج كحرفين الزعد
مسفوحة الذمى لغير وجد
ورثة مسشمل زفير الاند
جاءت بها ريخ الضبا من نجد
فراحت الأرض بسعيث رعد
من وشي أنوار الرئبي في برد

وتلاحظ ابراهيم بن فرقة يصف في قصيدة رائعة النجوم والكواكب وكأنه عالم
جليل من علماء الفلك. يتناول فيها هيئاتها الخلابة. والوانها الجمابة. وحوادثها
الدقيقة المنتظمة (١٣١).

وشارك الشعراء مشاركة كبيرة في وصف الخصرة وأدواتها وسقائها ومجالسها
وما يتردد في هذه المجالس من أصوات للمغنين والمغنيات إلى جانب الآلات
الموسيقية. وسوضح هذا الوصف لاحقاً في حديثنا عن الخمريات.

لما المارك والحروب فقد تناولها عددٌ من الشعراء بالوصف . فمثلاً نجد بشار بن برد يصوِّر معركة دار فيها الغبار ولعلَّت فيها السيوف حتى جُبل اليه أنها نجوم سقطت في الليل (١٣١) .

كلٌّ مناز التقيع فوق رؤوسنا
واسيانا ليل نهاري كواكبنا

واشتهر مسلم بن الوليد بوصفه الحرب وتصوير شجاعة الفرسان وثقتهم واقdamهم . وقد تأثر به المتنبي فيما بعد ، مثل قوله (١٣١) :

يغشى الوغى . وشهاب الحرب في يده
يزنمى الغوارض والأبطال بالشغل
يقترب عند اقترار الحرب فنبسما
إذا تميز وجه الفارس البطل

وبرز أبو تمام في وصف خروبه الودم والمسلمين ونظم قصائده جيدة رسم فيها صوراً باهرة للجيش العباسي المظفر والى جانبه القتل والجرحى والأسرى للأعداء . انظر الى هذه الأبيات التي وصف فيها شجاعة المقاتلين ومهارتهم وهم متحفزون بسيفهم ودروعهم وسقنصون على الخصوم كالأسود (١٣١) :

تخذوا الحديد من الحديد معاقلاً
سكانها الأرواح والأجسام (١٣٢)
مسترسلين الى الحتوف كأنما
بين الحتوف وبينهم أرحام
أماز موت منخبرات مالمسها
إلا السوارم والمنقمنا أجام

إن فن الوصف الذي ذكرنا طريفاً منه متعذ الجوانب الى حد بعيد . ويمكن للمقاريء . اذا أراد التوسع . أن يرى صوراً كثيرة في المولدين الشعرية والكتب الأدبية مثل كتاب التشبيهات لابن أبي عمير الكاتب . وغرائب التشبيهات لعلي بن طاووس الأزدي . والمحب والمحجوب والمشموم والمشروب للسري الرؤفاء . والتحف والهماليا للخالد بين . ودبران المعاني لأبي هلال العسكري ...

(١٣٥) دهريه ١١١١ هـ .

(١٣٦) دهريه ٩ هـ .

(١٣٧) دهريه ١٣٠٣ هـ .

(١٣٨) أبي جعفر سيرتهم مقال من سيرت جعفر .

التحدي في شكل القصيدة في العصر العباسي

١ من محاولات التجديد في شكل القصيدة في العصر العباسي التخلي عن الوقوف
على الأطلال وبكاء الديار وبناء القصيدة بالغزل أو النسيب أو الحكيم الدخول
مباشرة إلى عرض القصيدة دون مقدمتها لجعل المقدمة القصيدة جزءاً لا يتجزأ من
موضوعها وقد اتجه الشعراء المحدثون إلى التجديد في مطلع القصيدة كما فعل أبو نواس
عندما استعمل قصيدته في مدح الخوصب فقال :

三ノ宮

أجارة بيتونا لوبك غموز

ثم ^{الطاهر} البع الشاعر مقدمه بخوار بينه وبين روجه حول معانيه في الوصول إلى المملوح
ولقد جعل هذه الغائرة نقطة انطلاق إلى مدح الخصب لارتبطت بذلك مقدمة القصيدة
مع مضمونها يقول الشاعر :

عزیز علیہا ان نرا کہ تمہو
ہوئی ان اسباب القی تکشیر
ہوئی ان اسباب القی تکشیر
ہوئی ان اسباب القی تکشیر

فقلت لها واستعجلتها — والآن
أما دون مصر للغتي متطلب؟
تقول التي عن بينها خلف مركبي
فريسي أكثر حاسبك برحلة

ثم يبدأ في مدح الحبيب ليوفيه حظه من الخراج والنشاء ، وبعد ذلك يصف معاناته في سبيل الوصول إليه موضحا المشقة التي قابلته في الوصول إلى رحابه ، معللا حاجته إلى مدح الأمير لما يناله من العطاء والوفاء :

والتن بها العنق فيه

وإني جدير إذا بلغتك بالمعنى

و إلهي عفو وشكور

لېږن تولتي منك الجمول فاظه

وقد شاع في العصر العباسي استخدام الرجز على نطاق واسع مع المزجج
 لاستخدام الرجز في معظم الأغراض الشعرية ، وفي قصائد طويلة محكمة البناء وليس
 مقطوعات صغيرة ، كما ظهر بعد ذلك في صورة مقطوعات متكاملة المعنى فكانت
 غاية في الرقة والعلوية والإبداع كقول أبي نواس :

١ التجميع في شكل القصيدة في العصر العباسي

١ من محاولات التجميع في شكل القصيدة في العصر العباسي النحلي ^٢ من محاولات التجميع في شكل القصيدة في العصر العباسي النحلي على الأطلال وبكاء الديار ^٣ بدء القصيدة بالغزل أو النسيب أو الخمر ^٤ الدخول مباشرة إلى عرض القصيدة دون مقدمة القصيدة جزء لا يتجزأ من موضوعها وقد اتجه الشعراء المحدثون إلى التجميع في مطلع القصيدة كما فعل أبو نواس عندما استهل قصيدته في مدح الحبيب فقال :

وميسور ما يرضى لديك صبر

أجرا بيننا لوك غور

ثم اتبع الشاعر مقدمه بخوار بينه وبين (وجهه) حول معانيه في الوصول إلى الملوح وقد جعل هذه الخاورة نقطة انطلاق إلى مدح الحبيب لارتبطت بذلك مقدمة القصيدة مع مضمونها بقول الشاعر :

عزيز علينا أن نترك تسيير

تقول القى عن بيننا خف مركب

بلى إن أسهب القى لكسير

أما دون مصر للقى متطلب ٢

جرت لجري في جريه صبر

فقلت لها واستعجلتها بـ وافر

إلى بك فيه الخصوب لمر

نريش لكز حبيبك برحلة

ثم يبدأ في مدح الحبيب ليؤديه حله من المدح والنساء ، وبعد ذلك يصف معانيه في سبيل الوصول إليه موضحا المنلة التي قابلته في الوصول إلى رجا به ، معلقا حاجاته إلى مدح الأمير لما يناله من العطاء والبرال :

وانت بما لمكت فيك جدير

وإني جدير إذا بلغتك بالمنى

و إلا فلقى عفر وشكور

لبن تولس منك الجمول فأهله

٧ وقد شاع في العصر العباسي استخدام الرجز على نطاق واسع مع المزج

فاستخدم الرجز في معظم الأغراض الشعرية ، وفي قصائد طويلة محكمة البناء وليس

مقطوعات صغيرة ، كما ظهر بعد ذلك في صورة مقطوعات متكاملة المعنى فكانت

غاية في الرقة والعلوية والإبداع كقول أبي نواس :

من مل محبوباً فلا رقداً
من نلهم لم يطل كمن سهدا
لا نلهم من يهودى ولا مسجداً
والله لول ميت كذا
والله لا علمه به
على لفر
المصنف

كثرت على لى لعلها
لكتبت لى لى ليلها
لصحة ولكتبت ليلها
لصحة ثم لكتبت لى
لصحة ولكتبت ليلها

أما لغة هذا العصر فقد تطورت لتأخذ لفرأ غير قليل من مذاهب المتكلمين والمعتزلة
والانجذبات اللطيفة لغات هذه المذاهب عقول الشعراء لاختاروا من الألفاظ ما يدل
على تلوهم بها ، فوجدنا ألفاظ المتكلمين ، ومنطق الماطقة ، وسلامة العامة ، والميل إلى
استخدام الألفاظ والواردة عن الاحتلاط و الامتراج بالبول الأخرى ، ولذلك صور
كثيراً وألفاظ عديدة عند شعراء العصر المباسي.

ومن الألفاظ العديدة السلسلة التي تروق للشعراء وتؤثر في المتلقين قول بشاعر :

هل تعلمين وراة الحب منزلة
تكني إليك ؟ فإن الحب أقصدي

لالشاعر بحث عن مبراة يحقق لم القرب من أحب ، وتكون غاية طوق الحب لأن
أحب أوصله إلى اللطيفة فكما بحث عن وسيلة وصل إلى اللطيفة ^{ألفاظ} كما
للاحلة غاية في الرقة والسهولة لتسب تطور الذوق والمصر ^{كما} ازدهرت الصنعة
البديعة اللطيفة والمعوية حتى كست الألفاظ وأصبحت مصدر جمال المفظف ، وصنعة
للوسيقا حتى بالغ الشعراء في هذا الاتجاه ووصلوا إلى التكلف كقول أبي نواس :

لما بدا نطيب الصدود لنا
أرسلت كلب الوصل في طلبه
جاء به والجلول يعقبه
حين سمع الصاي هذا القول لال : والله إنه لشاعر ولكن عمادى به حب البديع حتى
الرق ليه

ومن شواهد سلامة اللغة ولها من الألفاظ المتداوله قول الشاعر

أبوك / 260
طيفت بن المعتر / 245

ضرام الحب عيش لي فؤادي وحضن فوقه طير البغداد
وانبذ للهوى في دن قلبي فريدت الهموم علي فؤادي
حيث شبه الشاعر ضرام الطب تصنع عشا في قلب الشاعر ليسكنه ومرة أخرى
يحمل ضرام الطب دنا من نيبذ يحرق قلبه .

١١ وحيانا يتجه الشعراء إلى مفردات الطبيعة برباطها وزهورها وثمارها ويستخدمونها
في أشعارهم ، فتأتي أشعارهم متآكدة بظواهر الحياة الاجتماعية شاهدة علي تطور العصر
العباسي ، فنرى في قول ابن المعتز :

وجنار مثل جمر الخد^١ أو مثل أعراف ديوك الهند^٢
وقول الصورتوري :

خجل الوردة حين لاحظته النرجس من حسنه وغار النهار
١٢ ويلاحظ الباحث أيضا كثرة التأثير بجمالي القرآن الكريم والاستشهاد ببعض أجزاء
من آياته في أشعارهم كقول أبي العتاهية :

وأحضرت الشرح النفوس فكلمها إذا هي همت بالسماح تجنبت
فهر يشير إلى قوله تعالى : " وأحضرت الأنفس الشح " النساء / 128
وقوله :

أرى الموت دينا له علة^٢ فتلك التي كنت منها بعيد^٢
وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
" ق / 19

وقوله :

صلى ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما يخفي عليك بعيد
وفيها إشارة إلى قوله تعالى : " ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون " إبراهيم / 42

^١ ديوانه / 475

^٢ ديوانه / 106

كما نلاحظ ميل الشعراء إلى استخدام الألفاظ الدارجة في الأوساط المحلية لتكون

المتأهية :

1
رحم الله سعيد بن وهيب
يا أبا عثمان أوجعت قلبي

غاية في السهولة والبس و
مات والله سعيد بن وهيب
يا أبا عثمان أوجعت قلبي

الدمشقي :

2
عند بيض الوجوه سود القرون

ويقول أبو العباس محمد بن القاسم

يا بياض المشيب منقذت وجهي

كالمدح
عصر العباسي

والزهد كما في قول أبي المتأهية :

هيهات ليس مع الممات يطرب
كل ابن أنتى حافظ ورقب
كيف اغتررت به وأنت لبيب ؟

أمع الممات يطرب عيشك بأخي ؟
نغ كيف شئت عن البلى فله على
كيف اغتررت بصرف دهرك يا أخي

لج استخدام الشاعر كثيرا من الأساليب الإنشائية كالنداء والاستفهام والتعجب،
والأمر ، وقد لجأ إلى تكرار هذه الأساليب للتأكيد عليها ، وفي هذه الأساليب تعلم

قطو / سرصره

الخطابية

أما استخدام الأوزان الجزوءة فقد شاع في العصر العباسي كقول سلم الخاسر يقول
في مدح الهادي :

موسى المظن
ثم التهمز
خيئت بكر
ألوى المرز

ومن الأوزان القصيرة قول أبي المتأهية :

عقب ما للخيال
لا أراه أتلسى
خبريني و مالسي
زالرا مذ ليلال

1 ديوانه / 495
2 معجم الشعراء / 369
3 انظر : تاريخ الخلفاء و امراء المؤمنين / 187

ولذلك ظهر في أعمالهم الضيق بالفكرى والمادى، الآخرى بوضوح ذلك، فكتب بن حسن
في قوله :

يا سائل عن معلقة الشنعة وعن منطوق الأخواه والهدج
دع من يقرء للعلام للعبية لما يطول للعلام ذو ورع
كل لئس بنيتهم خستن ثم يسيرون بعدا للثوبيع¹

الشعر العاطفي :

ومن روائع المجدد في المراضى الشعرى الشعر العاطفي ، الشعر العاطفي ، وقد
برح كل مستعمدة أبان من صيد الطيب ، فقد نظم فيه كثيفة ودمنة لم أر بعدا عشر ألف
بت ، كما نظم الشعراء الثورن في اللغة والمقالة والشعر ، ولها صيغت فريدة
اللغة والمقالة صياغة لغوية مبسطة لسهولة حفظها ونطقها ، واستودعت وقد استمدت
الشعراء هذا اللون في نظم أنواع حق من العزيم والمنزلات لسهولة حفظها ، بعد أن
استعنت المنزلات ، وترددت في حق العظم درو قد نشأ هذا الفن تريجة الشكر والشكر
بالطلاقة الجودية والقدية وإذا أنشأ إلى هذا الفن بعد تعدد المنزلات وكثرة العزيم ،
يقول خولي صيف : إن الشعر العاطفي نشأ نشأة فريدة صائفة في كرواح العزيم
الأشوية ، إذا تعدد أجزائه وأصنافه ومن أهمها : صورة لغوية

مطلوب أوه الطود : قد أخذ الشعرون من راية وكثروا بالعزيم به ، والعزيم
بشعره وبمطلوبه إماما ، ولا يقرأ الإنسان في أجزائه حتى يشعر شعورا واضحا بأنه
الملك لطيفه وطيفة فريدة هي صياغة الألفاظ والأصناف والوجاهة بكل غريب مثلا فيها
حق، عرضي لورق المصورين وصاحبهم ، يقول في إحدى أجزائه :

ولقد الأصلى خلون المقلون مشتبه الأعلام لصاح العلق
بكل ولط الفريح من حيث المقلون شلر بمن عزة جنب المنطق
ناه من التصريح لئلي المقلون تنبو لنا أعلامه بعد الفسرى²

تطور موسيقى العزف في قرونه الأولى

مكتبة احمد

لوراني صديقي روى لي او رثي لي¹

ثم قيل له : خرجت من العروض فقال : انا اكبر من العروض²

و اذا معنا النظر في الايات السابقة نرى اننا من مجزوء الحفيف وعليه قول ابن

المعتر :

طلال وجدي وداما
اكل اللحم منسي
ال سلمي غضاب³

وشيت سقاما
و اذاب العظاما
فماذا علي ؟ ما ؟³

وقوله :

يا جوهر الإخوان
ودولة المعالسي
عش لي كعمر قولي

وحلية الزمان
وروضة الامان
فيك فقد كفاتي⁴

تطور موسيقى العزف في قرونه الأولى

وهذه الأوزان القصيرة تؤدي إلى الإيقاع السريع المستخدم في مقام الغناء والطرب

والنسب والغزل ، وغيرها من الأغراض .

كما ساد في هذا العصر الاتجاه إلى نظم المربعات والمخمسات والدوبيت

والموشحات التي تعتمد على تغير القافية ، من أجل تنويع موسيقا الإيقاع ، ونجد

مقطوعات عند أبي العتاهية و ابن المعتز تعتمد على تقفية الصدر والعجز في الأبيات

ولكنها قليلة كقول أبي العتاهية :

والله لو كنت فكت منه لما
لمت على الحب فذرتي وما
بليت إلا أنت بلي بيئنا
أطوف في قصورهم إذ رمى

ياذا الذي في الحب يلحى أما
كلفت من حب رخيتم لمسا
القي فبتي لست أدري بما
أنا بيباب القصر في بعض ما

¹ ديوانه / 618
² أمالي الرنضي 212 / 1
³ ديوانه / 410
⁴ ديوانه / 429

من كرم العنبر

لحقائق التسليم

بالرجوع إلى ك

بري (ت ١١٥)

وفية لعبد الرزاق

طريق الصواب

من العلماء

الغزالي (ت ٥٠٥)

ري (ت ٥٩٧)

(٥٧٧) يميل

ال قوله : (١٢٢)

تلبس والخبر

أعظم الخبر

الخلق بالخلق

مغنى ولا خا

الشعر الصوفي :

نما التصوف وتطوّر بعد أن غرس مبادئه أئمة كبار . مثل ذي النون المصري (ت ٢٤٥) الذي فسر إشارات المتصوفة وتحدث عن أحوالهم ومقاماتهم . وقد عدّه ابن تيمري بردي رأس الطريقة الصوفية بمصر . (٨٨٧) وهو القائل : (٨٨٨)

- (٨٨٤) هجران الأرجالي ١٢٠، ١١
(٨٨٥) الحسن بن أسد المازلي ، حياته والسياسة من شعره ص ٨١ .
(٨٨٦) حقيقة الدهر ص ٢٣٢ - ٢٣٩ .
(٨٨٧) النجوم الزاهرة ٢ ، ٢٢٠ .
(٨٨٨) حلية الأولياء ٩ ، ٢٤٩

٢١٩

صفحة 219

حبّ المحبين في الدنيا بأنّ لهم مع ربهم سبباً يُدني إلى سبب قوّم جوسمهم في الأرض سارية نعم . وأرواحهم تختال في الخجيب لهفي على خلوة منه تُشدّني إذا تضرّعت بالاشفاق والرغب يارب يارب أنت الله معلمي متى أراك جهاراً غير محتجب

إن سبيل الرؤيا عند ذي النون هو الخطوة والذكر المترج بالحب . ورؤية الله تتمّ بالقلب عن طريق الحبّ . والرؤيا القلبية هذه لا تتعدى القرب من الله والانس به : لأنه تعالى عن أن يحيط به شيء أو أن يحُدّ بأمد أو مقدار . وإن تراه عين أو يلمسه وهم . لأنه تعالى عن الأشياء . (٨٨٩)

ومن رواد المتصوفة في العراق الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٢) . ويمد كتاباه " الرعاية لحقوق الله " و " التوهم " من أهم الكتب التي تناولت الاخلاق وتطهير النفس . (٨٩٠) ويأتي بعد المحاسبي السقطي (ن ٢٥١) شيخ المتصوفة في بغداد وأمامهم في وقته . وقد عرف بالبالغة في رياضة النفس ومجاهدتها . وهو القائل : " من خاف الله خافه كل شيء " . (٨٩١) . وسئل : كيف أنت ؟ فأنتأ يقول : (٨٩٢)

من لم يبت والحبّ حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكاذ
واشتهر من المتصوفة يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨) وهو أول من حاضِر الناس في التصوف . (٨٩٣) ومن أقواله : " من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه " (٨٩٤) . وقال في الحب : (٨٩٥)

نفس المحبّ إلى الحبيب تطلّع وفؤاده من حبه يتقطّع
عزّ الحبيب إذا خلا في لله بحبيبه يشكو إليه ويضغ

الطلب الإسلامي ٢٩
لغة ستكون

2 - ابو نواس - الحسن بن هانئ 198م -

يقول البغدادي : هو أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن الصباح الحكيم نسبة يمتد إلى الحكم بن سعد المشيرة ، وهي قبيلة كبيرة منها الجراح بن عبد الله الحكيم أمير خراسان ، وكان جد أبو نواس من مواليه¹

أما سبب كنيته " أبو نواس " فيقول ابن منظور " إن جاره طلب إليه أن يذهب لي طلب رجل إليه ، فأتاه يمدو في طلبه ، ودؤابة شعره تتحرك علي جبينه فلما عاد بالرجل إلى جاره قال له: أحسنت يا أبا نواس ، لتحرك دؤابتك ، فلزمته هذه الكنية² وقد نشأ بالبصرة ، وقرأ القرآن علي يعقوب الحضرمي ، وأخذ يختلف علي حلقات المسجد الجامع بالبصرة ، فطلب علم الحديث ، من الإمام أحمد بن حنبل وتعلم النحر من أبي زيد النحوي ، ثم أطلقته أمه بد كان عطار

وقد طبع أبو نواس علي الطرف والجون لتخلي الأهل عنه حيث مات أبوه وأهله أمه ، فأوقعته الأقدار في صحبة والبة بن الحباب ، وكان والبة من أفحش الناس أخلاقاً ، وأشهرهم سقوطاً ، وأشدهم إقداماً علي المعصية فتعلم منه أبو نواس هذه الأخلاق الفاسدة ونشأ عليها ، إلى أن توفي والبة فصعبه خلف الآخر ، وعلمه الشعر والأدب يقول أبو عبيدة عنه " كان أبو نواس للمحمد بن مثل آخري القيس للمتقدمين³ "

وأبو نواس نشأ نشأه علمته الطرف والجون والزندقة ، وخفة الروح يزوي أنه قد بلغه أن صاحب الأمر قد عزم علي قتله فبعث إليه يستجير قائلاً :

بك أستجير من الــــــردى
وحياة راسك لا أعــــود
من ذا يكــــسون أبائــــوا
سك لو قتلــــت أبائــــواسك⁴

¹ خزانة الأدب 1 / 347

² ابن منظور : أبو نواس / 19

³ تاريخ بغداد 7 / 437

⁴ ديوان أبي نواس / 424

والحقيقة أن روبة وضع أراجيزه اللغوية للمؤرخين ليعلموا منها الغريب لو نظم
الشعراء مقطوعات تعليمية تحب للناجحة علم النحو والفقه والسيرة وغيرها من الفنون
والآداب والعلوم كقول إسحاق بن خلف البهراني :

والمرء تكررته إذا لم يلحن¹ النحو ييسط من لسان الأكن
فأجلها بنها مقيم الأيمن² وإذا طلبت من العلوم أجلها

ويقول الكسائي :

وبه في كل أمر ينتفع³ إنما للنحو قياس يُتَّبَع
مُر في المنطق مرًا فلانسمع⁴ فإذا ما أبصر النحو فتى
من جليس ناطق أو مستمع⁵ فتلقاه كل من جالس⁶
من شريف قد رأناه وضع⁷ كم وصيغ رفع النحو وكم

ولي القرائن نظم أبان الاحقي مزدوجة بشرح فيها أحكام الصور والزكاة يقول
فيها :

نقل أبيـلن من فم الرواة⁸ قصيدة للصيـام والركـاة⁹
لكل ما قلت به الشعر السج¹⁰ هذا كتاب الصوم وهو جامع
فرمضين صومته إذا غرض¹¹ قال أبو يوسف: أما المقتـرض
من حيث ما يجري به اللـمـن¹² والصوم في كلارة الأيمن¹³

وينقل الصولي جزءاً من منظومة أبان لكليلة ودمية يقول فيها :

وهو الذي يدعي كليله ودمية¹⁴ هذا كتاب أدب ومحفة¹⁵
وهو كتاب وضعه الهنيـد¹⁶ فيه دلالات وفيه رشـد¹⁷
حكايه عن المن البهـلـم¹⁸ فوصفوا أدب كل عالم

¹ الكلل / 239

² تاريخ بغداد / 412

³ أخبار الشعراء / 51 (الأوراق)

⁴ أخبار الشعراء / 46 (الأوراق)

1 / ديوانه /
2 المصنف : الأرواق / 112 /
3 طبقات بن المصنف / 385 /

ولا الربيع عهدت بأنوسا³ وأحيى بها عن مسورك القوسا³
ولا تلك هذا ولا الموالعوسا
أخبره حوله وهو ير حال الطيعة فيقول :
وبدعو أبو حنّان اللوسوس إلى نكران الوقوف على الأطلال ، وبدعو إلى وصف

من طريق إلى الهوسم² تخرج الرّيح بالانسوم²
وخصرة من بنات ريم
لأحس من خيمة وريبع
لأحس من خيمة وريبع
لأحس من خيمة وريبع
لأحس من خيمة وريبع

الأجتماعية الجديدة وبدعو إلى اعتقادها في مقدمة المقدمة فيقول :
الاجتماع السلمي بدعو إلى اعتقاد ظروف ومساوح الشباب وانماط الحياة

الدعوات إلى التجديد الكفاحي ، وأصبح السلمي ، وأبو حنّان اللوسوس .
والدعوة إلى تفردها وبدعو المقدمة بالزول أو النسب أو القوم ، ومن أصحاب هذه
المقدمة ، لما جاء العصر الماسي ، وأما تفردها على هذه المقدمة
الوقوف على الأطلال وبكى الدمار وأظهر الشوق والحنين إلى الأبنوة ثم ينتقل منها إلى
كانت المقدمة الطويلة سادة في الشعر حتى العصر الماسي ، وكانت تستعمل على
النوارة على الأطلال :

يستقله الطرب
ليس ما به لعرب
والحب يلد
صفتي في العز
مناك عاد لي سينا
كلما أفضى سينا
حسب الهوى تعب
إن يكن يحق لي
تضيقن لأمر
وتعجبون من سيني
كلما أفضى سينا

ولكرة تودده على عالى الله والنسب والشراب حيث أجاد في البرق في
الزوراء والفسان ، فيقول في صباه أيتها غريبة عن جامعية متعلقة فيقول :
لرب الله الأمل

أما آية الخمر والكؤوس فهي آية من الذهب والفضة في قصور الأمراء والحلقات
 تشتمل منها رائحة الخمر ولوى لولها صافيا يجذب الشارب يقول الشاعر :
 من قعر أجوف ذي ساق بلا قدم نيطت بدن عظيم البطن هدار
 معارج الخلق من زفت بطاقتة والظهر من فوقه بنيان فخار²
 ويقول :

ففي أباريق من لجون حسان كظباء سكن عرض القفار
 أو كراك ذعرن من صوت صقر مفزعات شواخص الأيصار³
 أما النديم فهو الأمير والوزراء ، وهذا يحقق متعة عظيمة لشاربها إذا كان ينادي
 الأمير ويشرب معه الكأس وفي تصوير ذلك يقول الشاعر :

فالدراج طيبة وليس تمامها إلا بطيب خلاق الجلاس
 ويذكر الشاعر آداب الشراب في مجلس الأمير فيقول :

لا تمكثني من العريد يشربني ولا اللئيم الذي إن شمتني قطبسا
 ولا المجوس لأن التلر زبهم ولا اليهود ولا من يعبد الصليبسا
 ولا السفال الذي لا يستقيق ولا غر الشبيب ولا من يجهل الألبا
 ولا الأرائل إلا من يوقر نسبه من المفاة ولكن لسقتي العربا⁵
 المصح عند أبي نواس :

إذا كان الشاعر قد برع في وصف الخمر ، وأغياها ، وذكر محاسنها وبيان آثارها
 في نفوس الندامى ، فإنه قد برع في فنون الأدب الأخرى فهو في المدح يأتي على طريقة
 القدماء في نظم القصيدة ، فإذا هاجم الأطلال في حريقته فهو يصف الوقوف على
 الأطلال في مدائحها ، وأحيانا يبدأ القصيدة بالنسيب أو الغزل فيقول في قصيدته في
 مدح العباس :

- ¹ الديوان / 225
- ² الديوان / 149
- ³ الديوان / 183
- ⁴ الديوان / 105
- ⁵ الديوان / 92

و جماعها منشدا روعة الجمال ، داعيا إلى الشراب في الخفاء الطيعة الجميلة ^{قرب القلب إلى} و يحث إلى غرامه و كاسه قائلا:

طلب الزمان و اوراق الانجسار
وكسا الربيع الأرض من أنواره
فلانق الرقار عن المجون بقهوة
من كف ذي ضجج كان جبينه
يسقيك كلما من عصير جفونه
وتدور أخرى من يديه عقال¹

زهدي أبي نواس :

لما أحس أبو نواس أن العمر قد قرب علي الانتهاء ، و رأى شبح الموت يطارد له
أحس بأنه أذنب ذنوبا كثيرة ، و لا يقدر على محوها إلا الله تعالى فبدأ يبكي على ما فرط
في حياته و كان يردد هذه الأبيات التي وجدت تحت مسادته يوم وفاته يقول فيها :

يلرب إن عظمت ذنوبي كثرة
مالي إليك وسيلة إلا الرجسا
وله رائية في الاستغفار و الندم و التوبة كتبها قبل موته يقول فيها :

بالييت شعري كيف أنت على
أو ليت شعري كيف أنت إذا
أو ليت شعري كيف أنت إذا
وما حجتني فيما أليت وما
يا مولانا مما اكتسبت و يسا
ظهر السرير و أنت لا تحذري
غسلت بالكافور و السسندر
وضع الحساب صبيحة الحشر
قولني لربي بك و ما تحذري
أسقي على ما فات من شعري²

والأبيات حافلة بالندم ، و استحضار صورة الموت والحشر ، وهي حافلة بالصور التي
توضح نهاية الإنسان ، و عرضه للحساب أمام مولاه ، و تبدو فيها روح الندم على
التفريط في المعاصي و ضياع العمر فيما لا يفيد.

¹ الديوان / 290
² الديوان / 609

قوما عدى ومعلقة فذلفا
لئذا صرفت عطائه تقصرفا

فما عدى ومعلقة فذلفا
لئذا صرفت عطائه تقصرفا
فإذا صرفت عطائه تقصرفا
فإذا صرفت عطائه تقصرفا

فظهرهن علي الرجال حرلم

عزيز علينا أن نراك تسيـر
بلى إن أسباب الغنى لكثير
جرت فجوى في جريهن عيـر
إلى بلد فيه الخصيب أميـر
فأي فتى بعد الخصيب تـزور

هذا عن المقدمة العذبة الرائقة الجميلة في حث الركاب على السير في الرحلة إلى
الممدوح ، يتبعها الشاعر بيان كرم الممدوح ، والتأكيد علي وجوب مدحه وتقليل كل
الأعباء في الوصول إليه فيقول :

ويعطس أن الدائرات تدور
ولكن يصير الجود حيث يصير
فإن أمير المؤمنين خير^١

ونلاحظ علي مدائحه أنها تقليدية تبدأ بالوقوف علي الأطلال ، وبكاء الديار ،
ويشكو اللوعة ، ووصف الناقة ، فإذا كان في خبراته يدعو إلى الخروج على كل
العادات والتقاليد السائدة في نظم القصيدة فإنه هنا يناقض نفسه وكأنه ليس الداعي
إلى التمرد على المطالع التراثية أما غزلياته فنراه فارساً مهواراً في الانطلاق والتغزل
والسباحة في أودية الخيال ، فحيانا يتغزل في الإناث كمادة الشعراء السابقين ، وأحياناً

عزله

حككت سعاد وأهلها سترقا
فالحب ظهر أنت راكبه

ثم ينتقل إلى وصف الرحلة في الصحراء مبينا معاناته في الوصول إلى الممدوح فإذا
وصل إلى ممدوحه فقد وجب الشكر والامتنان للناقة التي أقلته ف يجعلها طليقة ويحرم
ظهرها علي الرجال يقول الشاعر :

وإذا المطي بنا بلغنا محمدا
ويقول في مدح الخصيب :

تقول التي عن بيتها خف مركبي
أما دون مصر للغنى منطلق
فقلت لها واستغفرتها بـسـوالر
نريتي أكثر حاشدك نـرخلـة
إذا لم تزر أرض الخصيب ركنات

هذا عن المقدمة العذبة الرائقة الجميلة في حث الركاب على السير في الرحلة إلى
الممدوح ، يتبعها الشاعر بيان كرم الممدوح ، والتأكيد علي وجوب مدحه وتقليل كل
الأعباء في الوصول إليه فيقول :

فتى يشتري حسن الثناء بماله
فما جازه جود ولاحل دونـه
فمن يك أمسى جاهلا بمقالتي

ونلاحظ علي مدائحه أنها تقليدية تبدأ بالوقوف علي الأطلال ، وبكاء الديار ،
ويشكو اللوعة ، ووصف الناقة ، فإذا كان في خبراته يدعو إلى الخروج على كل
العادات والتقاليد السائدة في نظم القصيدة فإنه هنا يناقض نفسه وكأنه ليس الداعي
إلى التمرد على المطالع التراثية أما غزلياته فنراه فارساً مهواراً في الانطلاق والتغزل
والسباحة في أودية الخيال ، فحيانا يتغزل في الإناث كمادة الشعراء السابقين ، وأحياناً

وبيان آثارها
علي طريقه
لوقوف علي
قصيده في

هدار
فخار 2
فخار 3

إذا كان ينادي

طبسا
طبسا
الأدبا
ربا 5

منزهة عن الشرق المورى
هذى القوافى قد أتيتك نزعاً
من كل شاردة تغادر بعدها
وجديدة المعنى إذا معنى التى
كالنجم إن سافرت كان مواعدا
لغة شعر أبى تمام :

مكرمة عن المعنى المعاد
تتجسم التهجير والتقليسا
حظ الرجال من القصيد خسيسا
تشقى بها الأسماع كان لببسا
وإذا حططت الرجل كان جليسا¹

يقول بابل رشيق : أبى حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها ، ويعطي
المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن اليقنة ، أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه
ويتخرج خوفاً على دينه²

ومن فرائده التى أتفرد بها ، وتدل على فصاحته وقوة عريته ، وامتلاكه ناصية البيان
قوله :

فقد ماكنت مصول الأماني ومأدوم القوافى بالسداد

فلفظ " مأدوم " من الفرائد الجياد يقول ابن أبي الإصبع : إنه من الفرائد التى لا
يقدر على نظيرها ، ولا يعثر على شبيهها³

ومن الشعر الرائع الذى يدل على انسجام الألفاظ مع المعاني ، وانحدار الشعر
كانحدار الماء المنسجم قوله :

إن شئت ألا ترى صبيرا لمصطبر
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

فانظر على أي حال أصبح الطلل
ما الحب إلا للحبيب الأول⁴

والأحيانا يميل إلى استخدام الغريب في شعره وهذا يؤدي إلى غموض بعض شعره
وهو يقصد ذلك إذا كان المقام يقتضى ذلك كقوله :

1 - شرح الديوان 2 / 273

2 - العمدة 1 / 113

3 - تحرير التحبير 577 /

4 - ديوان أبى تمام من قصيدة من أربعة أبيات مطلعها

البين جر عنى نقيع الحنظل والبين أشكلنى وإن لم أشكل

فأهو الله العظمى تليها رطلبه
هي الوفر^١ أو سرب^٢ ترون^٣ نوابه^٤

نرني وأهوال الزمن أقيها
دعني على أخلاقي الصم^١ التي
ولا مدح أبو تمام محمد بن عبد الملك الزيات بقوله :

وهو فينا في كل وقت غريب
ورجال يكون حين تقوب
وردا عني وريح جنوبي^٢

أنت فينا في ذا الأوان غريب
يجنب اللذات إذ تعسريه
خلق مشرق ورأي جسم

فقال ابن الزيات : يا أبا تمام إنك لتعطي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسنا على هي الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يُدخّر شيء من جريل المكافاة إلا ويصغر عن شعرك في المرازاة ، وكان يحضرته فيلسوف فقال : إن هذا الفتي يموت شابا ، فليل له ، ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال رأيت فيه من الجدة والذكاء والفتنة مع لطافة الطين ، وجوده الخطر ، فاعملت أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهين غمده^٣

وقد كان أبو تمام مفرط اللكاء ، حاضر البديهة ، يميل بشعوره إلى الغموض ويخاطب به الفصحاء ، ومن ثم وجد فيه كثير من العوام صعوبة ، روى أن أبا سعيد الضرير سمعه يشد إحدى قصائده التي جنتح فيها إلى الإغراب فقال : يا أبا تمام : لم لا تقول من الشعر ما يعرف ؟ فأجابه على الفور : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال^٤ ؟
وصف الشاعر لشعره :
يقول أبو تمام إن شعره رائق عذب ، ومعانيه بديعة غير مكررة ، وهو مبدعها ولا يخضع للسرقه فيقول :

^١ - ديوان أبي تمام من قصيدة من 44 بيتا مطلعها أهن عوادي يوسف وصواحيبه فجز ما تقما
أدرك السؤل طالبيه
المصم^٢ " الشديدة
٢ - ديوانه 1 / 291
٣ - وفيات الأعيان 2 / 16
٤ - الموشح 499 / 1

هو اليوم من أي النواحي، أتيت
 تفوت بسط الكف حتى لو أنه
 ولو لم يكن في كله غير روحه
 أجدها في الله وحده
 وهذه المعاني وإن كانت متداولة عند الشعراء ، ولكن أبا تمام أجاد وصفها
 تؤدي معنى جديد ، وتحمل خاصية فريدة تدل على إبداعه وتفوقه فتصوره
 باليم معنى مطروق ، ولكن جعل مياحه لجة والجود ساحله هذا من خواص أبي
 وجوده بروحه إن لم يمتلك غيرها يدل على عظمة المدح وتفوقه على أقرانه

٨

وأحيانا يعيل أبو تمام إلى استخدام المنطق والفلسفة في عرضه قضاياه ، وهذا
 تأثره بمبادئ الفلاسفة والمتكلمين ، الذين تعتمد آراؤهم على الاستدلال والمنطقي على ما يقولون كقوله :

لا تتكبري عطل الكريم من الغنى
 وفي دعوته إلى ترك الأوطان والسياسة في الأرض بحثا عن الرزق والحياة الكريمة
 لأن بقاء الإنسان في مكانه وعلمه ارتحاله يجعله كالثوب الخلق يقول أبو تمام
 الشمس زادت محبة إلى الناس لأنها ليست مسيطرة عليهم ليل نهار فيقول :

وطول مقام المرء في الحي مخلق
 فأتى رأيت الشمس زينت محبة
 وهذا القول يذكرنا بقول الإمام الشافعي إن وقوف الماء يفسده ، فإن سال
 وإن توقف فسد ولم يطب كذلك بقاء الإنسان في الأرض ومكانه فيها
 الشافعي رحمه الله :

سافر تجد عوصا عن تفارقهم
 إني رأيت وقوف الماء يفسده
 وإن سال طاب وإن لم يسر لم يطب